لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء السادس عشر : تفسير الآيات ٩٩-١١٤ من سورة طه

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده سبحانه وتعالى وهو أهل للثناء والحمد، ونشكره وهو صاحِب النِّعَم، **ومن أعظم ما أنعم به علينا أن عرفناه، فامتنَّ علينا سبحانه بكتابه، وامتنَّ علينا بأن علَّمنا عن نفسه، وامتنَّ علينا بأن عرفنا ما يكون وقت لقائه.** فنرجو من الله أن نكون من الشَّاكرين على نعمائه؛ **والشُّكر** على مثل هذة النِّعمة حُسن الاعتقاد ، وكلَّما علَّمك الله كان من الواجب عليك أن تشكر، وشكرك يكون بأن تُحسن الاعتقاد كما علَّمك الله، وأن تستعدَّ للِّقاء بعدما عرفت اللِّقاء، ووَصَفَه الله لك في القرآن وعلى لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، **فمن كان حقًا شاكرًا، من المؤكَّد أنَّه سيكون بالقرآن مُعتنيًا، وبأخباره ولأخباره ذاكرًا، ولأوامره ونواهيه فاعلًا، يأتمر بالأمر وينتهي عن النهي.**

والحمد لله ربِّ العالمين أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، فما مِن نعمة على الخلق إلَّا وهو مُسديها، وقد خصَّ أهل الإيمان بمعرفته بما ورد في القرآن.

ومِن هذا ما نقرؤه اليوم إن شاء الله **من آيات في سورة طه التي بدأت بذِكْر المِنَّة العظيمة** ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ .

ووصف نفسه سبحانه وتعالى لتعرف مِنَّته علينا بالقرآن ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فكان مطلع هذه السورة العظيمة الخبر عن القرآن، المِنَّة العظيمة.

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلَّم ولمن كان مُتَّبِعًا له، ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ فهذا القرآن يذكِّرك الطريق، يُذكِّرك وسترى بماذا يُذكِّرك!

وهذا القرآن ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ إنَّ هذا القرآن من آثار رحمته، وكلّ الأخبار التي فيه والأوامر والنواهي كلّها من آثار رحمة الله بنا، ولذلك في مطلع السورة أتى ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ فأتت الأخبار عن موسى عليه السَّلام، وهو من أولي العزم من الرُّسل، وما حصل معه وما كان تعليمًا وتسليةً لتسير، ولك قدوات لتسير في هذه الدنيا.

وتأخذ قصَّة موسى من سورة طه الشيء الكثير، بدأت بـ ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ إلى أن تنتهي بـ ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾.

﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ هذا القرآن ذكرى، ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾، من أعرض عن هذا الذِّكر، هذا القرآن، فإنَّه يحمل يوم القيامة وزرًا، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ ﴾ أي: خالدين في الوِزر، كيف يخلد الإنسان في الوزر؟ سيتبيَّن لنا. ﴿ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾.

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ ﴾ يُصوِّر لنا الآن يوم القيامة، وماذا سيحصل فيه، وهذا من آثار رحمة الله أن تعرف ما سيكون، لِتَستَعِدَّ لما سيكون!.

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ ﴾ يكون هنا السؤال؟ أي نفخة المقصود بها هنا في الخبر؟ ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ زُرقًا، ما هذا الوصف؟ ماذا سيكون حال المجرمين إذن؟ زرقا!. نريد أن نفهم ما معنى زرقا؟.

﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ (إن لبثتم عَشرًا) في الدنيا أو في قبوركم؟ هم الآن في موقف المحشر، في الدنيا لبثتم عَشرًا أم في قبوركم ؟ وأيّ عَشر ؟ عَشرة أيَّام؟ عَشر سنين؟ عَشر ساعات؟ يقول الله: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ واضح المعنى، أي: أعدلهم فهمًا، ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾.

هذا ما سيكون في يوم المحشر بين المجرمين ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ ويسألونك عن الجبال، عن شيء يستعظمونه في الدنيا ماذا سيكون في الآخرة، هذا سؤال عجيب، يسألونك عن الجبال؟ وهذا شيء عجيب دليل أنهم يرون أشياءًا لا يظنُّون أبدًا من عَظَمَتِها أنَّها تتغيَّر، وهذا يذكرنا بما مرَّ معنا من قصة ابن نوح عليه السلام؛ نوح عليه السَّلام لما ركب في السفينة، ونادى ابنه ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ ﴾ [هود: ٤٣]، فهذه الأشياء في عيون الناس عظيمة، كالأسباب التي هي في عيون الناس عظيمة.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾ الجبال بهذه العظمة والشُّموخ والصَّلابة ماذا سيحصل لها؟ ﴿ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ قُل لهم: هذا الذي سيكون، ﴿ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ إذن الجبال تنسف نسفًا.

وتترك الأرض ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ سنرى ما معنى قاعًا، وصفصفًا، وعِوجًا، وأمتًا.

إذن من أعرض عن القرآن يحمل يوم القيامة وِزرًا، ويكون خالدًا في وزره، وسنفهم كيف. وهذا حال مِن أسوأ ما يكون، وهذا اليوم ممَّا يُذكر فيه أنَّ الناس يقومون من قبورهم بعد ما يُنفخُ في الصور، ويُحشرون، ويكون وَصْف المجرمين يومئذ زُرقًا، ما حالهم؟ يتخافتون بينهم.

سألوا عن الجبال، قال الله تعالى: ﴿ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ في ذاك اليوم ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ الناس كلهم ﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ ﴾ فما تُسمَع أصوات ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ فما الهمس؟ هل هو حركة أقدامهم أم أنَّهم يتهامسون؟

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ كلّها أخبار عن هذا اليوم العظيم، لتنتفع بهذه الأخبار وتُعايشها وتستعدَّ لها ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ فالرحمن الذي أنزل القرآن، الرحمن الذي على العرش استوى، ستلقاه وقد خشعت الأصوات له، وهو الذي يأذن بالشفاعة فلا يميل قلبك إلى أحد إلا إلى الله، فإنَّه هو الذي يأذن بأن يشفع فيك أحد، وإذا لم يأذن، لم يكن لك شفيع.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ وفي ذلك اليوم ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ ﴾ فسنرى مامعنى أنَّها عَنَت، ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ ، ﴿ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴾ ذاك اليوم يوم عظيم، يوم الأحمال، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾.

إذن هذا الكتاب العظيم ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾ وسيحصل في يوم القيامة ماسيحصل، فلا تنسَ القرآن، ولا تُعرِض عنه. ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ﴾ لأي شيء يصرف فيه من الوعيد؟ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ فهذا من آثار رحمة ربِّنا بنا، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ ﴾ تعالى الله الملك الحقّ الذي تظهر آثار مُلكه في ذاك اليوم العظيم، مالك يوم الدين.

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ ما أعظم هذه النِّعمة، ما أعظم هذا الكتاب الذي أنزله الله عزَّ وجلَّ تذكرةً لمن يخشى، ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ فلا تكن ممن أعرض ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾.

إذن هذه الآيات العظيمة تنبِّهنا إلى علاقتنا بالقرآن وعقيدتنا فيه، وكيف تكون أحوال الناس يوم القيامة، فإنَّ هذا السياق عَرَضَ حال الناس ابتداءً بذكر حال من أعرض عن هذا الذِّكر، من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وِزرًا.

- أتدري ما يوم القيامة؟ ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾
- أتدري ما يوم القيامة؟ في يوم القيامة ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾
- أتدري ما يوم القيامة؟ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾ ماذا سيحصل لها يوم القيامة؟ ﴿ فَقُل يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾
- أتدري ماذا يحدث يوم القيامة؟ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ ﴾
- ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ ﴾ في ذاك اليوم ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ ﴾
- ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

يوم عظيم، من رحمة الله أن أخبرنا به، فلا تُعميه لا على نفسك ولا على من تُربِّي، علِّمهم ما سيكون في ذاك اليوم ليستعدُّوا. **فإنَّ الرحمن من آثار رحمته بنا؛ علَّمنا ما سيكون، ونحن من آثار رحمتنا بمن نربِّي؛ نعلِّمهم ما سيكون**، ونقول لهم: تجد في هذا **القرآن** كل مايوصلك إلى **رحمة الرحمن، ومن رحمته أن علَّمنا ما سيكون يوم أن نلقاه، فلا تُعمي على نفسك الأخبار**، بل فلنجتهد في بيانها وإظهارها، **ومن حرصنا على فهمها أن نقرأ تفسيرها، ونبذل جهودنا أن نُيسِّر بيانها لذريَّاتنا، ولمن نربِّي من أجل أن يصحَّ منهم الاعتقاد.**

ونكون بذلك قد ربَّيناهم ولم نُسلِّط عليهم الشيطان.

ولا بدَّ أن يكون هناك حرص على هذا الأمر، **ولا تسمع لرأي من يرى أنَّك لا تُكلِّمهم عن يوم القيامة، ولا ما يكون فيه، لأنَّ هذا يُسبِّب لهم الرُّعب**؛ الذي يُسبِّب لهم الرُّعب الحكايات التي تُخترع، الأوصاف التي يُؤتى بها من الخيال، **أما ما يكون في القرآن فهو مناسب لكل إنسان** صاحب

عقل وفطرة سوية، فلا يشغلك هذا الكلام عن بيان هذا الأمر، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ ما أخبرنا إلا بما سيكون رحمة بنا، ونحن نخبرهم بما سيكون رحمة بهم، **ويكون عن طريق القرآن، علِّمهم ما قرأت في القرآن**، ولا تجعله مصدراً للإرعاب، **إنَّما فهِّمهُم الحقيقة، فإذا فهموا الحقيقة، دخل إلى أفئدتهم ونفعتهم في الوقت المناسب.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ طه: ٩٩ – ١١٤

نبدأ بقراءة التفسير نسأل الله أن ينفعنا به، ونُعلِّق على ما نستطيع، يتقبل الله من المتقين نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يتقبَّل منَّا جميعًا.

يقول الشيخ: "يمتنُّ الله تعالى على نبيِّه صلى الله عليه وسلم بما قَصَّهُ عليه من أنباء السابقين، وأخبار السالفين، كهذه القصَّة العظيمة، وما فيها من الأحكام وغيرها، التي لا ينكرها أحد من أهل الكتاب، فأنت لم تدرس أخبار الأوَّلين، ولم تتعلَّم ممن دراها، فإخبارك بالحقِّ اليقين من أخبارهم، دليل على أنَّك رسول الله حقًّا، وما جئت به صدق، ولهذا قال: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا﴾ أي: عطيَّة نفيسة، ومِنحة جزيلة من عندنا".

كهذه القصة العظيمة إشارة إلى قصة موسى عليه السلام.

إذن هذا من إشارات ومن دلائل نبوَّة النبي صلى الله عليه وسلم.

"﴿ ذِكۡرٗا ﴾ وهو هذا القرآن الكريم، ذِكر للأخبار السابقة واللاحقة، وذِكر يُتذكَّر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة". كما ظهر لنا في بداية السورة.

"ويتذكَّر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء، وهذا مما يدلُّ على أنَّ القرآن مُشتملٌ على أحسن ما يكون من الأحكام، التي تشهد العقول والفِطَر بحُسنِها وكمالِها، ويذكر هذا القرآن ما أودع الله فيها، وإذا كان القرآن ذكرًا للرسول ولأمَّته، فيجب تلقِّيه بالقبول والتَّسليم والانقياد والتعظيم، وأن يُهتدى بنوره إلى الصراط المستقيم، وأن يُقبِلوا عليه بالتَّعلُّم والتَّعليم".

القرآن وصفه **مُشتمِل على أحسن مايكون من الأحكام**، الفِطَر السَّويَّة، والعقول السالمة من اللوثات، والبعيدة عن الشهوات، تشهد بحسن القرآن وكماله.

إذا كان القرآن ذكرًا للرسول ولأمَّته، إذن يجب تلقِّيه:

أولاً: بالقبول

ثانياً: التسليم

ثالثاً: الانقياد

رابعاً: التعظيم

عليك أن تتلقى القرآن **بالقبول**، عليك أن **تسلِّم** لما فيه، عليك أن **تنقاد**، عليك أن تعامله **بالتعظيم**؛ ما تعرضه على عقلك الناقص فتكذب أو لا تقبل أو تناقش مناقشة من يريد أن يعارض، القرآن نزل من عند الملك العظيم ﴿ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ فليس قابلًا للمناقشات **العقلية العقيمة** التي تطعن فيه، إنَّما تقبل وتُسلِّم وتنقاد وتُعظِّم، وعقلك خلقه الله في أصله سويٌّ إذا سَلِم من الأهواء، سَلِم من الانتصار للنفس، سَلِم من الإصرار على الرأي، سَلِم من الكبر، فإنَّه يهتدي بنوره للصراط المستقيم، سيقبل ويُسلِّم وينقاد ويُعظِّم ويهتدي بنوره إلى الصراط المستقيم.

لكن العجب من قوم يدَّعون الإسلام، يُعظِّمون آراءهم على القرآن، وهذه لوثة دخلت في عقول كثير من الناس لدرجة أنَّهم وهم يتعلَّمون أو يُعلِّمون يستثنون بعض الآيات وبعض القصص من المناقشات، لأنهم يرون عقلهم لا يقبلها! وإنَّما هو **لفساد عقولهم** ولعدم تلقِّيهم القرآن بالتعظيم.

إذن علينا **اعتقادات** وعلينا **أعمال**:

أما **الاعتقاد** فيجب أن نتلقاه بالقبول والتسليم والتعظيم.

والأعمال أن ننقاد.

إذا فعلنا هذا سنهتدي بنوره إلى الصراط المستقيم. لكن لا تعظيم ولا تسليم ولا قبول ولا انقياد، هذا سيذهب بالناس إلى الظلمة التامة، فإذا حصل هذا - إذا وقع التعظيم والتسليم والقبول والانقياد الذي يهتدي الناس بنوره - هذا الوقت نقول للخلق أقبِلوا عليه بالتَّعليم والتعلُّم، أقبِلوا على القرآن تعلَّموا وعلِّموا، لكن لا تُقبِلوا على القرآن تَعلَمُوه وتُعَلِّموه وأنتم لستم له معظِّمين، ولا بما فيه قابلين ولا مسلمين ولا منقادين؛ لأنَّ المستشرقين وغيرهم من أعداء الدِّين أقبلوا على القرآن، تعلَّموه لكن بعقول ليست مُعظِّمة ولا مُسَلِّمة.

"وأما مقابلته بالإعراض أو ما هو أعظم الإنكار فإنه منه من كفر لهذه النعمة".

فنسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين على نعمائه، فالإعراض كفر بالنعمة.

"ومن فعل ذلك فهو مستحق للعقوبة" فأيُّ ممارساتٍ مع القرآن لا تليق به من جهة التَّعظيم، ومن جهة التسليم، ومن جهة القبول لكلِّ شيء في القرآن، ومن جهة الانقياد، **أي ممارسات تعتبر كفر لنعمة الله، ومن فعل ذلك فهو مستحق للعقوبة.**

"ولهذا قال: ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ فلم يؤمن به، أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلُّم معانيه الواجبة ﴿ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴾ وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران".

يعني الذي أعرض عن القرآن ماذا سيكون حاله؟ فهو مستحق للعقوبة، فإنَّ في **القرآن معانٍ واجبة** يجب عليك أن **تتعلَّمها** من الاعتقاد بكمال صفات الله واستحقاقه للتوحيد ومن اعتقاد لقاءه... إلى آخر الأمور المجملة التي يجب علينا أن نتعلَّمها، غير الأمور التفصيلية التي تعلُّمها **يسبِّب زيادة الإيمان.**

﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ ماذا سيحصل له؟ ﴿ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴾ وهو ذنبه الذي بسببه أعرض عن القرآن وأولاه الكفر والهجران، إذن ﴿ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴾ الذي هو الذنب العظيم الذي وقع فيه من عدم التسليم أو الكفر أو الهجر للقرآن فيحمله يوم القيامة.

"﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ﴾ أي: في وزرهم، لأنَّ العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب عذابًا على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها".

يجيب الشيخ هنا على هذا السؤال.

الوزر يتحوَّل يوم القيامة إلى عذاب في حقِّ الإنسان **بحسب حال الوزر صغيرًا كان أو كبيرًا، فخالدين في أوزارهم** أي: خالدين في العذاب الذي هو سبب أوزارهم، فهم **لم يُعذَّبوا** إلا بسبب الوزر.

"{وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلا} أي: بئس الحمل الذي يحملونه، والعذاب الذي يعذبونه يوم القيامة، ثم استطرد، فذكر أحوال يوم القيامة وأهواله فقال:

إذن ذُكرت هنا **يوم القيامة** من باب البيان لما سيكون في ذاك اليوم العظيم ليتنبه هاجر القرآن المعترض عليه أو المعرض عنه.

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ "أي: إذا نُفخ في الصُّوْر وخرج الناس من قبورهم، كل على حسب حاله، فالمتقون يحشرون إلى الرحمن وفدًا، والمجرمون يحشرون زُرقًا ألوانهم من الخوف والقلق والعطش". إذن معنى ذلك هذه النفخة الثانية لأنه أتى بعدها الحشر.

النفخة الأولى هي التي يموت بها كلُّ مخلوق.

النفخة الثانية هي التي تكون بعد أن ينبت الله الأبدان، ينزل من السماء ماء كمنيّ الرجال، فتنبت الأبدان كما تنبت الأشجار من الأرض، ويكون هذا من عُجب الذَّنب الذي يبقى من الإنسان، فإذا حصل هذا الإنبات، تأتي هذه النفخة فتعود الأرواح إلى الأجساد، يعني تنبت الأجساد نبات الزرع كالشجرة تنبت، أما الأرواح فإنها تلتقي بهذه الأبدان لما يأذن الله بهذه النفخة ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ ﴾ فماذا يحصل بعد النفخ؟ **تلتقي الأرواح بالأبدان.**

فلما تلتقي **وصف الله هنا المجرمين** أنهم يحشرون زرقاً ألوانهم، من الخوف والقلق والعطش.

في المقابل **المؤمنين المتقين** يُحشرون إلى الله وفدًا، فما أكرم الوفد على من وفد إليه.

اللهم أحسن وفادتنا عليك.

فلما يحصل اللقاء بين الأبدان والأرواح يسألون عمَّا مضى من الزمان.

"يتناجون بينهم، ويتخافتون في قصر مُدَّة الدنيا، وسرعة الآخرة، فيقول بعضهم: ما لبثتم إلا عشرة أيام، ويقول بعضهم غير ذلك، والله يعلم تخافتهم، ويسمع ما يقولون ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ ﴾ أي: أعدلهم وأقربهم إلى التقدير ﴿ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ ".

فهذة هي الحقيقة التي لابدَّ أن تكون أمام عيوننا، أنَّ كل هذه الدنيا ستأتي لحظة ونُقدِّرها وتُقدَّر بيوم أو أقل، وهذا الكلام يقوله هؤلاء.

"والمقصود من هذا، النَّدم العظيم، كيف ضيَّعوا الأوقات القصيرة، وقطعوها ساهين لاهين، مُعرضين عمَّا ينفعهم، مُقبلين على ما يضرُّهم، فها قد حضر الجزاء، وحقَّ الوعيد، فلم يبق إلا الندم، والدعاء بالويل والثبور".

كيف تلتهي في هذه الأيام المعدودات بغير ما ينفعك؟!، كيف لاتشعر في قلبك بأنَّها ساعة تمضي لابد أن أستودعها بعمل ينفعني لما ألقى الله! لكن غفلة نفوسنا.

نسأل الله أن ينجينا من هذ الغفلات، وها قد بدأنا بعد منتصف الشهر، هذه صورة بسيطة تبيِّن لنا نحن في أي شيء؟ في عجلة سريعة، تقول استودع ساعات العمل الصالح، انتفع بدقائقك وأنفاسك، ابخل على الأهواء وكرِّم نفسك بالأعمال الصالحة.

المهم هؤلاء في حال ندم، فها قد حضر الجزاء وحقَّ الوعيد، فلم يبقَ غير الندم والدعاء بالويل والثبور.

"كما قال تعالى: ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٤] أيّ كان العد.

يخبر تعالى عن أهوال القيامة، وما فيها من الزلازل والقلاقل، فقال: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ ﴾ أي: ماذا يُصنَع بها يوم القيامة، وهل تبقى بحالها أم لا؟ ﴿ فَقُل يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴾ أي: يزيلها ويقلعها من أماكنها فتكون كالعهن وكالرَّمل، ثم يدكُّها فيجعلها هباءًا منبثًا، فتضمحلّ وتتلاشى، ويسوِّيها بالأرض، ويجعل الأرض قاعًا صفصفًا، مستويًا لا يُرى فيه أيها الناظر عِوَجًا، هذا من تمام استوائها".

تكون كالرمل تدك، ثم كالعهن تطير. إذن **تصبح قاعًا**: بمعنى أنَّها تصبح متساوية، القاع هي الأرض الملساء بلا نبات ولا بناء. **وصفصفًا**: كأن أجزاءها صفًا واحدًا من كلِّ جهة، فالقاع هو المستوي الصلب، والصفصف هو المستوي الأملس، فلا ترى فيها -في الأرض- عِوجًا بمعنى انخفاض، ولا أمتًا بمعنى تلال.

"قال: ﴿ وَلَآ أَمۡتٗا ﴾ أي: أودية وأماكن منخفضة، أو مرتفعة فتبرز الأرض، وتتَّسِع للخلائق، ويمدُّها الله مدَّ الأديم، فيكونون في موقف واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، ولهذا قال: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ ﴾ وذلك حين يبعثون من قبورهم ويقومون منها، يدعوهم الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، فيتَّبعونه مُهطعين إليه، لا يلتفتون عنه، ولا يعرجون يمنة ولا يسرة".

إذن في اليوم الذي ينسف فيه الجبال، وتصبح الأرض بهذه الصورة الناس يتَّبعون الداعي إلى المحشر، فيقبلون من كل صوب ولاتجد لهم عوجًا.

"وقوله: ﴿ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ ﴾ أي: لا عِوَج لدعوة الداعي، بل تكون دعوته حقًا وصدقًا، لجميع الخلق، يسمعهم جميعهم، ويصيح بهم أجمعين، فيحضرون لموقف القيامة".

بمعنى أنهم لا يقدرون أن يزيغوا ولا ينحرفوا بل يسرعون إليه، وهذا دليل على عظمة الله وسلطانه وقهره.

"قال: فيحضرون لموقف القيامة، خاشعة أصواتهم للرحمن".

بمعنى أنَّه وقع في قلوبهم الهيبة والجلال والإجلال له سبحانه وتعالى، ذلَّت أصواتهم من شدَّة الفزع.

"﴿ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴾أي: إلا وطء الأقدام، أو المخافتة سرًا بتحريك الشفتين فقط، يملكهم الخشوع والسكون والإنصات، انتظارًا لحكم الرحمن فيهم، وتعنوا وجوههم". والعرب تقول همست الإبل إذا وقع أخفافُها، **وعنت الوجوه:** "أي: تذل وتخضع، فترى في ذلك الموقف العظيم، الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والأحرار والأرقاء، والملوك والسوقة، ساكتين منصتين، خاشعة أبصارهم، خاضعة رقابهم، جاثين على ركبهم، عانية وجوههم، لا يدرون ماذا ينفصل كل منهم به، ولا ماذا يفعل به، قد اشتغل كل بنفسه وشأنه، عن أبيه وأخيه، وصديقه وحبيبه ﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ ﴾ [عبس:٣٧]، فحينئذ يحكم فيهم الحاكم العدل الديَّان، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بالحرمان".

فمن تذكر هذا الشأن اشتغل به في الدنيا، لابدَّ أن تشتغل بنفسك في إصلاحها وبيان الطريق لها والوصول بها إلى طاعة الله ورضاه.

"والأمل بالرب الكريم، الرحمن الرحيم، أن يرى الخلائق منه، من الفضل والإحسان، والعفو والصفح والغفران، ما لا تعبر عنه الألسنة، ولا تتصوره الأفكار".

هذا ما نرجوه ونتمناه فإننا على يقين أن أعمالنا لا تبلغنا ولا نصل بها إلى شيء إلا أن يقبلنا الله لكننا نطمع أن تظهر في ذاك الموقف العظيم رحمة الله.

"ويتطلع لرحمته إذ ذاك –ذاك الوقت– جميع الخلق لما يشاهدونه فيختصُّ المؤمنون به وبرسله بالرحمة، فإن قيل: من أين لكم هذا الأمل؟ وإن شئت قلت: من أين لكم هذا العلم بما ذكر؟".

من أين لكم الأمل أن تعامَلون بالرحمة؟

"قلنا: لما نعلمه من غلبة رحمته لغضبه، ومن سعة جوده، الذي عمَّ جميع البرايا، وممَّا نشاهده في أنفسنا وفي غيرنا، من النعم المتواترة في هذه الدار، وخصوصًا في فصل القيامة، فإن قوله: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ ﴾[طه:١٠٨]، ﴿ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ [طه:١٠٩] مع قوله ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ [الفرقان:٢٦] مع قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله مائة رحمة أنزل لعباده رحمة، بها يتراحمون ويتعاطفون، حتى إن البهيمة ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تطأه –أي:– من الرحمة المودعة في قلبها، فإذا كان يوم القيامة، ضمَّ هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمة، فرحم بها العباد" ، مع قوله صلى الله عليه وسلم: "لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها".

نعلم أن رحمته غلبت غضبه، ونعلم سعة جود الذي عمَّ جميع البرايا، ونراه بأعيننا على أنفسنا، وخصوصًا في فصل القيامة. ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ ، ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾، ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾، وما نعرفه أننا في الدنيا كلنا نتمتع برحمة واحدة مودوعة في قلوبنا فإذا أتى يوم القيامة أضيفت هذة الرحمة إلى تسع وتسعين رحمة من رحمة الله، ونعلم أنَّ الله أرحم بنا من الوالدة بولدها، **فماذا سيكون ظنُّنا بربنا ؟!**

"قال : فقل ما شئت عن رحمته، فإنها فوق ما تقول، وتصوَّر ما شئت، فإنها فوق ذلك، فسبحان من رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبته، وتعالى من وسعت رحمته كل شيء، وعمَّ كرمه كل حي، وجلَّ من غني عن عباده، رحيم بهم، وهم مفتقرون إليه على الدوام، في جميع أحوالهم، فلا غنى لهم عنه طرفة عين".

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وهذا مانطمع فيه فإننا لا نطمع في أعمالنا، إنَّما نتوسَّل إلى رحمته، ونريد أن نتوصَّل إلى رحمته من طريق الأعمال، فإن الأعمال مجرَّد سبب، إذا قبل هذا السَّبب عمّ خلقه بالرحمة، فنسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعلنا ممَّن يدخل في رحمته.

"قال: وقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ أي: لا يشفع أحد عنده من الخلق إلا إذا أذن في الشفاعة، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله، أي: شفاعته من الأنبياء والمرسلين، وعباده المقربين، فيمن ارتضى قوله وعمله، وهو المؤمن المخلص، فإذا اختل واحد من هذه الأمور، فلا سبيل لأحد إلى شفاعة من أحد".

إذن الشفاعة فيها شرطين للمشفوع له:

أن يكون المشفوع له: مؤمنًا، مخلصًا لربِّه.

"وينقسم الناس في ذلك الموقف قسمين:

القسم الأول: ظالمين بكفرهم وشرهم، فهؤلاء لا ينالهم إلا الخيبة والحرمان، والعذاب الأليم في جهنم، وسخط الديان". نعوذ بالله من هذه الحال.

"والقسم الثاني: من آمن الإيمان المأمور به، وعمل صالحًا من واجب ومسنون".

إذن الإيمان لابد أن يكون معه عمل صالح.

"﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ﴾ أي: زيادة في سيئاته ﴿ وَلَا هَضْمًا ﴾ أي: نقصًا من حسناته، بل تغفر ذنوبه، وتطهَّر عيوبه، وتضاعف حسناته،﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾". لأنَّه أتى بالسَّبب الذي يُسبِّب هذه المعاملة من الله.

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ عاد السياق إلى القرآن مرة أخرى.

"أي: وكذلك أنزلنا هذا الكتاب، باللسان الفاضل العربي، الذي تفهمونه وتفقهونه، ولا يخفى عليكم لفظه، ولا معناه". أي رفعه الله وميَّزه أنَّه سبحانه وتعالى حكيم يرفع ما يشاء، يختار ما يشاء. لكن العجب ممَّن يختار على اختيار الله، ويطلق لسانه بغير العربية متفاخرًا بها ولا يُحسن العربية، بل ويستحي من العربية!.

"﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾ أي: نوَّعناها أنواعًا كثيرة، تارة بذكر أسمائه الدَّالة على العدل والانتقام، وتارة بذكر المثلات التي أحلَّها بالأمم السابقة، وأمر أن تعتبر بها الأمم اللاحقة".

هذا **القرآن من أول ميزاته** أنه عربي، فليفخر العرب بما منَّ الله عزَّ وجلَّ عليهم، وينتفعوا بما منَّ الله عليهم، ومن ميزات هذا القرآن أنَّه **صرف فيه الوعيد**؛ ستسمع أسماء الله تدلُّك أنَّه يعامل عبادة بالعدل، وأنَّه ينتقم من الظالمين، وتارة بذكر المثلات التي أحلها بالأمم السابقة، فتنظر ماذا حصل لما خاف رسل الله فرعون، ماذا حصل له ؟ السَّامري ماذا حصل له. وهكذا...

إذن تسمع مثلات حلَّت بالأمم السابقة وأمرنا أن نعتبر بها.

"وتارة بذكر آثار الذنوب، وما تكسبه من العيوب".

فتقرأ في القرآن كيف أذنبوا؟ وكيف نزلت عليهم العقوبات؟ ونقصت عنهم الأرزاق وهكذا.

"وتارة بذكر أهوال القيامة، وما فيها من المزعجات والمقلقات، وتارة بذكر جهنم وما فيها من أنوع العقاب وأصناف العذاب، كل هذا لماذا؟ رحمة بالعباد".

من آثار الرحمة أن تعرف ماذا يكون؟ ماذا حصل؟ كيف لما تخالف يقع عليك؟.

"لعلهم يتقون الله فيتركون من الشر والمعاصي ما يضرهم، ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ فيعملون من الطاعات والخير ما ينفعهم" ، ويبتعدون عن آثار الوعيد.

"فكونه عربيًا، وكونه مصرفًا فيه من الوعيد، أكبر سبب، وأعظم داعٍ للتقوى والعمل الصالح، فلو كان غير عربي، أو غير مصرف فيه، لم يكن له هذا الأثر".

فالحمد لله الذي جعله عربيًا وجعلنا عَرَبًا، **والشُّكر** له أن أنعم علينا بفهمه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ "لما ذكر تعالى حكمه الجزائي في عباده، وحكمه الأمري الديني". وماسيكون يوم القيامة، أوامره ونواهيه. "الذي أنزله في كتابه، وكان هذا من آثار ملكه قال: إذن سمعت من **الأحكام الجزائية** التي ستكون، وسمعت من **الأوامر** التي يجب عليك أن تفعلها، وهذا كله من **آثار ملكه**.

"﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ﴾أي: جلَّ وارتفع وتقدّس عن كل نقص وآفة، ﴿ٱلۡمَلِكُ ﴾الذي المُلك وصفه، والخلق كلهم مماليك له، وأحكام المُلك القدريَّة والشرعيَّة، نافذة فيهم".

نافذة فيهم: هو الملك وهم العبيد، لذلك اسمك عبد، تَعبُد، **والله** هو الملك الذي يحكم.

"﴿ٱلۡحَقُّۗ ﴾ أي: وجوده وملكه وكماله حق، فصفات الكمال، لا تكون حقيقة إلا لذي الجلال، ومن ذلك: الملك، فإنَّ غيره من الخلق، وإن كان له ملك في بعض الأوقات على بعض الأشياء، فإنَّه مُلك قاصر باطل يزول، أمَّا الرَّب، فلا يزال ولا يزول مَلِكًا حيًا قيُّومًا جليلًا."

﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ ﴾،يعني خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، "أي: لا تبادر بتلقُّف القرآن حين يتلوه عليك جبريل، واصبر حتى يفرغ منه، فإذا فرغ منه فاقرأه، فإنَّ الله قد ضمن لك جمعه في صدرك وقراءتك إياه، كما قال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٦ – ١٩] ولمَّا كانت عجلته صلى الله عليه وسلم على تلقُّف الوحي ومبادرته إليه تدل على محبَّته التامَّة للعِلم وحرصه عليه، أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العِلم فإنَّ العِلم خير، وكثرة الخير مطلوبة وهي من الله".

الخير هذا العِلم من الله وليس من غيره

"والطريق إليها الاجتهاد والشوق للعلم وسؤال الله والاستعانة به والافتقار إليه في كل وقت".

إذن ما الطريق لهذا الخير الذي من الله ؟

- الاجتهاد.
- الشوق للعلم، يرى الله في قلبك شوق فيعلِّمك.
- تسأل الله يارب علمني، زدني علمًا.

- الاستعانة به وقت ما تقرأ وتدرس.
- والافتقار إليه في كل وقت، نوِّرني يارب، النَّاس في ظلمة نوِّرني، ماذا يحدث حولنا لا ندري فتنة أو لا وهي فتنة، اطلب من الله أن ينوِّرك ولا تعتمد على عقلك.

"يقول الشيخ: **ويؤخذ من هذه الآية الكريمة الأدب في تلقِّي العِلم، وأنَّ المستمع للعِلم ينبغي له أن يتأنَّى ويصبر حتى يفرغ المملِّي والمعلِّم من كلامه المتصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم فإنَّه سبب للحرمان، وكذلك المسئول ينبغي له أن يستملي سؤال السائل ويعرف المقصود منه قبل الجواب فإن ذلك سبب لإصابة الصواب**".

وكم حُرم طلاب العِلم بسبب السؤال في الوقت غير المناسب ومقاطعة شيخهم، وكذلك المسؤول.

الآن الشيخ ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ينتظر، يسمع سؤاله بالكامل ويعرف المقصود منه قبل الجواب؛ فإنَّ ذلك سبب لإصابة الصواب.

والحمد لله الذي جعل هذا الكتاب جامعًا للعِلم؛ تستغني به وبسنَّة النبي صلى الله عليه وسلم عن كلّ قول.

والحمد لله رب العالمين.